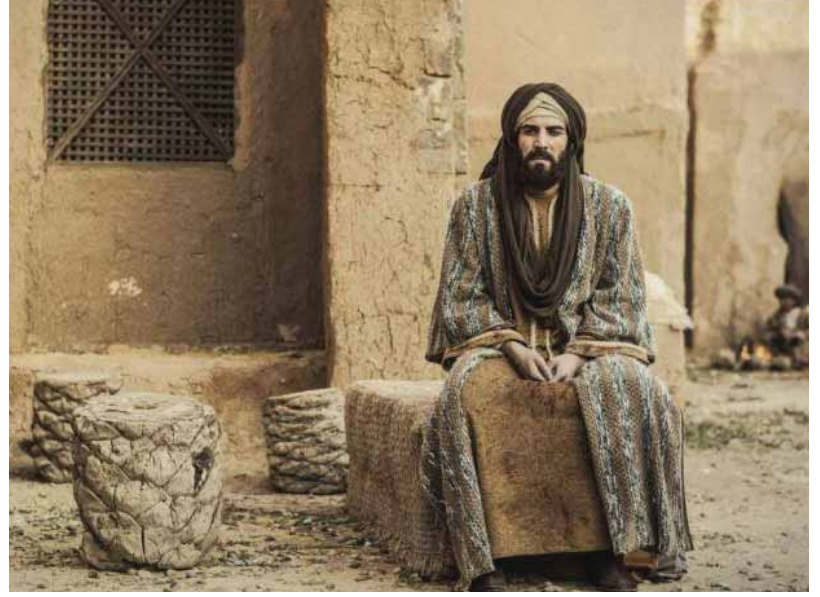


# سيرة مجي الدين ابن عربي وما رافق حياته من أسرار وحكايات

## «مقامات العشاق» إبراز مفهوم التسامح وأهمية الحب والتعايش والإنسانية وتكريس الفكر الوسطي



وائل العدس

### الأعمال الدينية المعتدلة والبعيدة عن التطرف والتشدد الديني تلعب دوراً كبيراً في إنارة العقول وتقويم الأخلاق

استفرتها لإظهار كل طاقاتها التمثيلية، بحيث إن دورها كمرربة روحية للشيخ مجي الدين ابن عربي، ومواكبتها للأحداث قبل ولادته، كان غاية في التراء والتنوع. أما يوسف الخال الذي جسد شخصية «علي» والد الشيخ الأكبر فقد أبدع في تجسيد شخصيته، وترك أثرًا قويًا لدى المشاهد، بالسماحة والنورانية التي كان يؤدي بها الدور. وتبرز شخصية «الشيخ حامد» الذي يؤديها مصطفى الخافي، وهو رجل دين منظر يستطيع من خلال فكره المتشدد وقدرته على الإقناع على اللعب بالعقول، ويقود التيار المضاد لابن عربي، حيث يدخل في المجتمع بطريقة ذكية ومؤثرة في الشباب، سعى فيها إلى التأثير بالفكر ويردد بأن «قتل فكر ابن عربي أهم من قتل ابن عربي». الأكبر بشبابه وكهله فأبدع هو الآخر في أول بطولة يقدمها بهذا الحجم وهذه الأهمية، وقد بحث مطولاً بعمق لمعرفة تفاصيل حياة ابن عربي، كتف بقرأ ويكتب ويمشي، وقد وجد كتباً بخط يده تبنى بعض هذه التفاصيل.

ويدور العمل في قالب درامي راق وبلغته يراقص الشعر فيها الفلسفة، وتقوم فكرته على تكريس الفكر الوسطي، المسالم، الذي يعترف بالأخو ويسمح له بالعيش معه، بل إن الفكر الصوفي الذي قدمه هو الفكر الوسطي، ليس دينياً فحسب بل حياتي واجتماعي أيضاً. ويقوم العمل على فلسفة الحب الإنساني والإلهي، الأمر الذي جعله جاذباً لقلوب الناس قبل عقولهم، وأظهر أن أهل الطريق أو الصوفيين يجمعون محبة الله مع سلام أزي، لا تفرهم معتزكات الحياة ولا يبحثون عن غنيمة أو أرباح، ولا يطمنون الدين لتحقيق مكاسب. يقدم «مقامات العشاق» شخصية «سلطان العارفين» الذي يمثل خطأ أصيلاً في الحضارة الإسلامية، ويرى أن الحقائق المتعددة حقيقة واحدة، وأن جوهر الأديان واحد، ويبرز مفهوم التسامح وأهمية الحب والتعايش والإنسانية والفكر والإسلام الوسطي. وقد وجد الناس في العمل مكاناً للسلام والحب وهو عمل ينفض الغبار عن الأدمغة والقلوب معاً.

#### وأخيراً

حان الوقت لتقديم دراما من هذا النوع، مثل «مقامات العشاق»، الذي يتضمن رسائل مهمة مثل الحب والسلام والتسامح والتضام مع الآخر، وتقديم هذه القصص حتى في الأعمال المعاصرة، ولا يقتصر تقديمها فقط في الأعمال التاريخية. طرح هذه الأفكار والمواضيع في هذا التوقيت بالذات، أمر بالغ الأهمية، فمن المهم جداً أن نحكي عن تلك الشخصيات في هذا الوقت، لأننا بحاجة إلى هذا الفكر المتوازن. وتعتبر الدراما السورية منيراً منقراً قدم العديد من الأعمال التاريخية المؤثرة في خريطة الدراما العربية واهتمت بسير أعلام التاريخ في المنطقة العربية وأبرز أبحاثها، لكن ربما المسلسلات الدينية ودعت عصرها الذهبي الذي عاشته في السابق بعد أن سحبت المسلسلات العصرية والشبابية البساط من تحت أقدامها. وترجع ندرة الأعمال التاريخية في رمضان بالأساس إلى ضخامة تكاليفها الإنتاجية وتحريم تجسيد بعض الشخصيات الدينية ونقل التسويقي وعزوف القنوات الفضائية عن شرائها وغلبة الرؤية المترفة على بعضها. إن الأعمال الدينية المعتدلة والبعيدة عن التطرف والتشدد الديني تلعب دوراً كبيراً في إنارة العقول وتقويم الأخلاق، لدرجة أن بعض المسلسلات كانت تهدي للدول بعد ترجمتها إلى لغات مختلفة للتعرف على جذور الإسلام المعتدل والمستنير وروح التسامح والتعايش بين الأديان.

الفكري والجمالي، من خلال الاستعانة بالحب والتشويق والإنساني كله. ويقدر العمل رسالة الفن القوية والمؤثرة في الشعوب، ويبرز مفهوم التسامح بطرق إنسانية، بغض النظر عن الطائفة والدين والعرق، وهذا قمة الإنسانية والوعي ونبل الأخلاق، بما يحمله من رسالة محبة وسلام، ودعوة للتضام مع الآخر مهما كان مختلفاً عننا. ويتناول المسلسل سيرة الشيخ مجي الدين ابن عربي وهو أحد إعلام الصوفية وما رافق حياته من أسرار وحكايات، وقد لقبه أتباعه من الصوفية بألقاب عديدة، منها الشيخ الأكبر، ورئيس المكاشفين، البحر الزاخر، بحر الحقائق، إمام المحققين، مجي الدين، سلطان العارفين. وعرف ابن عربي عند الصوفية بالشيخ الأكبر خصوصاً، وهو أحد كبار المتصوفة والفلاسفة المسلمين على مر العصور، كان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه الحديث، ومن إعلام الزهد والتقوى والتصوف، وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلماها، فنشأ ضمن جو ديني، ولقب أيضاً شيخ الصالحين، كان صوفياً، يحمل التفسير العميق والمختلف لمعاني القرآن والسنة، وتوافق مع البعض من الشيوخ واختلف مع آخرين، وكانت بينه وبين البعض معارك فكرية شرسة، وصلت إلى الحد الذي انتهت فيه معارضوه بالفكر والزندقة، واعتبروه مصدر خطر على أفكارهم. وشهد ابن عربي صراعات ومعارك عديدة بين تيار التطرف والتكفير وبين الإسلام الحقيقي المعتدل والتسامح، وإن كانت شخصية ابن عربي مهمة في تاريخنا الفكري، فإن طرحها في هذا الوقت هو مسؤولية فكرية وفنية وأخلاقية، وهو أحد المقامات الفكرية الكبرى في تاريخنا كله، وفكره يتعلق بالوجود وبغاياتها وسلوكنا كبشر.

#### فلسفة الحب

ركز المسلسل على سيرة الشيخ الأكبر لكن مؤلفه نسج قصة حب متخيلة وغير موجودة تاريخياً بين «ست الحسن» و«شيخ الصالحين».

حالة فريدة في التاريخ العربي الإسلامي، بل في التاريخ الإنساني كله. لم يكن الأب يعلم أن هذا المولود الذي طالما دعا الله أن يرزقه به، سيمثل الوحدة الحضارية بين شطري البحر المتوسط، محور الحضارات البشرية. وفي أجواء ازدهار العلوم والفنون والعمارة، نشأ الطفل الذي سرعان ما رحل مع أبيه إلى إشبيلية عاصمة الأندلس، ولم تكن رحلة عادية ذلك الصبي، فقد غرزت فيه بذور التأمل في الكون والشاسع، حيث لاحظ تغير الأشياء من حوله، الأشجار والجبال والسهول، لتخلق في رأسه الصغير كما من التساؤلات، حتى إن أباه انتبه إلى شروبه الدائم واقتعل معه أول حوار فلسفي حول الوجود، ولم كانت دهشة الأب عظيمة حين سألته الطفل عن شيء ثابت لا يتغير مع مسير موكبهم الصغير. وقد أدرك «ابن عربي» من خلال دراسات من سيووه من فلاسفة العرب، أن المرء لا يتألم مراده إلا إن خالف نفسه، مطلقاً موقفته الشهيرة: «لا يتألم غاية رضاه إلا من خالف نفسه وهواه». ولأنه كان يبحث عن الكيفيات، سافر ليلقي العلماء ويسمع منهم وجهاً لوجه ويسألهم ويجادلهم ويتناقشهم في المعارف والعلوم. تعلقت روحه بالسفر والترحال، وأحب خلوته وفضاءات التأمل والبحث في أسرار الوجود، وطاف بلاد الأندلس والمغرب العربي، حيث التقى الكثير من علماء عصره. ولعل «ابن رشد» كان أحد أعظم العلماء الذين التقاهم في عصره، ففي تلك الفترة كان «ابن رشد» أكتمل عقله وتمت فلسفته، على حين كان «ابن عربي» في مقتبل حياته الفكرية، وأحس أنه يقف أمام بحر عظيم يوجج بالفلسفة والعلوم، كما أحس أنه زهرة تفتتح في بستان المعرفة الكبير لابن رشد، المترامي الأطراف. إلا أن «ابن عربي» فوجئ أن «ابن رشد» سمع به، ليس لأنه صديق والده، بل لأنه يملك من علم الفلسفة ما لفت انتباهه.

#### رسالة الفن القوية

يقدم العمل الصراع بين الإسلام المنظر والإسلام الحقيقي الوسطي المتجاوب للتشدد، على الصعيدين

تمكن المسلسل السوري «مقامات العشاق» الذي عرض خلال شهر رمضان من شد انتباه الجمهور وبث الروح في الأعمال الدينية والتاريخية التي تحولت إلى عملة نادرة في زمن سطوة مسلسلات تحاكي لغة العصر والتطور. ورغم أن العمل قراءة فلسفية في المدرسة الصوفية، ويهدو لتجليه الأغاني والموشحات والموسيقا، إلا أن ما قدمه من حوار راق ولقطات مدهشة وأداء تمثيلي مبهر ورؤية إخراجية فنية عالية، يجعله من أهم أعمال هذا الموسم بامتياز. المسلسل من تأليف محمد البطوش وإخراج أحمد إبراهيم الأحمد وتمثيل نسرين طافش ويوسف الخال ومصطفى الخافي ولجين إسماعيل وقمر خلف وسارة فرح ومحمد حداقي ونادين خوري وعاكف نجم وزيناتي قدسية ونادرة عمران وجهاد سعد ومحمد حمادة ونتاجا شوفاني ومروة الأطرش وسليم فرق وسنادي نحاس وخالد شباط ومجدي المقلل وريم زينو وريم نصر الدين وهشام كفارنة وسلمى سليمان ويوسف المقلل والطفل محمد السمكة. والتأليف الموسيقي طاهر مامللي، الاستشارة الثقافية أحمد الفتحي، سينوغرافيا بديع ججاج، غناء النشارة صفوان العابد ومحمود فارس ومحمد هباش وسارة فرح، المخرج المنفذ مضر إبراهيم، المنتج الفني حمادة جمال الدين.

#### حالة فريدة

تبدأ قصة المسلسل بولادة «ابن عربي» في أسرة سالحة على الشاطئ الشرقي لمدينة مرسيه في الأندلس في شهر رمضان عام ٥٦٠ هجرية الموافق له ١١٦٥ ميلادية. وكان القدر اختار الزمان والمكان لهذا المولود الذي يمثل

#### إعداد: مها محفوض محمد

لزم من طويل كان الأدب في روسيا محور الميدان التربوي والمعرفي في البلاد، ذلك أنه أحد أغنى آداب العالم، أدى دوراً مهماً في ارتقاء الوعي المجتمعي وبناء الشخصية الروسية على المستوى الثقافي والسياسي حيث تناول قضايا المجتمع بطريقة لافتة ما أدى إلى صناعة القارئ الروسي، فقد اشتهر الروس بحبهم للقراءة التي أصبحت سلوكاً بل ممارسة يومية وعصراً من عناصر الشخصية، لكن هل استمروا على هذه الحال في القرن الواحد والعشرين الذي أخذ في تغيير المعطيات؟

بحسب دراسة علمية حول قراءة الكتب قام بها معهد (GFK) في العام ٢٠١٧ أن ٥٩٪ من الروس يقرؤون كل يوم بل أكثر من مرة بالأسبوع وهذا يضعهم في المرتبة الثانية بعد الصين وهي نسبة لا تزال مرتفعة وليست غريبة على المجتمع الروسي لأن هذا البلد تاريخياً كان دوماً موجهاً نحو الأدب وكما كتب ايفغيني ايفغوتشينكو: «في روسيا الشاعر هو أكثر من مجرد شاعر، والأمر ذاته ينسحب على الكتاب والروائيين أيضاً، لتأخذ مثلًا ليون تولستوي أحد أهم أعمدة الأدب الروسي في فترة ١٩٠٠ كان أكثر شعبية

لعام ٢٠١٧ صنفت الروس في المرتبة الثانية عالمياً بعد القراء إلا أن الناشئين الروس يشكون بذلك. «صناعة الكتاب»: نحن نتابع البيعات في سوق الكتاب وهي اليوم ليست في ازدياد، فخلال العشر سنوات الأخيرة تراجمت كميات الطباعة من ٧٦٠ مليار نسخة مطبوعة في العام ٢٠٠٨ إلى ٤٢٢ ملياراً في العام ٢٠١٨ والقضية هنا تتعلق بموضوع معدود جداً قد تكون سبب ما ينفق على الأبحاث أيضاً بسبب تزايد مبيعات الكتاب الإلكتروني ظلماً هو سوق الفرصة التي لم يتم دراسته مطلقاً.

لكن ورغم تغير ذائقة الجمهور الروسي في القراءة يبقى مشدوداً إلى عظمائه كما فعل مع الشاعر العظيم ألكسندر بوشكين الذي تحتفل روسيا هذا العام بذكرى ميلاده الـ ٢٢٠ الذي يصارف في السادس من حزيران حيث أقيمت له على مدار الشهر الحالي فعاليات ثقافية وأدبية على اسمها على أكبر مطارات العاصمة الروسية، بوشكين الظاهرة الفذة في تاريخ الفكر والأدب الروسي بالنسبة للروس هو أكثر من شاعر.

عن نظام القيصرو وقد استفادت الأيديولوجية السوفييتية من ذلك حيث اعتبرت ما يسمون بـ«الديمقراطيين الثوريين» حلفاء لها حتى ولو أنهم ليسوا جميعهم اشتراكيين. بالطبع كانت الدولة تقر ما يجب نشره من الأدب الكلاسيكي والنثر الأجنبي (هيمينغواي، ساليانجر) ولا تنسى الأعمال الكاملة لماركس وانجلز ولينين ثم مذكرات ليونيد بريجنيف حول تجربته في المعركة خلال الحرب العالمية الثانية، عثرون مليون نسخة تم نشرها عام ١٩٧٨ في الاتحاد السوفييتي لم يوفر أي كمية من الورق لسحب طبعات مدهشة، ففي أعوام الثمانينات تم بيع ملايين النسخ، فقد تم توزيع نحو خمسين مليون نسخة في مكتبات البلاد في جميع أرجاء البلاد، هذا ما كتبه المؤرخ ألكسندر غوغوروف في «تاريخ الكتاب»، وعلى هذا الأساس تم تصنيف الاتحاد السوفييتي بـ«الامة التي تقرأ» أكثر، وهي عبارة بقيت رائجة تعاود الظهور في كل مرة يظهر الشعور بالحنين إلى الحقبة السوفييتية «العظيمة» والمشكلة الوحيدة بحسب غوغوروف كانت غياب الخيار، فالتاس كانوا يرددون قصص الخيال والأدب المسلي لكن الدولة استمرت في تقديم الكتب الماركسية التي كساهما الغبار في المكتبات.

خلال سنوات البيروستريكا نهاية أعوام الثمانينيات التي تلاها انهيار الاتحاد السوفييتي برزت مرحلة تحول أدبي سماه أحد الكتاب «انفجار أدبي في كل الاتجاهات» والطريقة العتيبة تطور فيها سوق الكتاب في روسيا المعاصرة كانت غريبة لكن ثلاثة عقود بعدها أصبح كما في باقي أنحاء العالم وإذا كان الروس فيما مضى الأمة التي تقرأ أكثر لم تعد الآن في هذه الحال ومع أن إحصائية (GFK)



عملوا على تحسين المستوى المعرفي في البلاد، ففي عام ١٩٣٩ أصبح ٨٧٪ من المواطنين السوفييت يجيدون القراءة والكتابة والدولة التي كانت تراقب كل شيء بذلت ما بوسعها لتقديم كل أنواع الأدب الذي كانوا بحاجة إليه وهذا ما أدى إلى نشر الأفكار الماركسية بفترة وفي الحقبة السوفييتية تم تشكيل وإدخال أصول الأدب في المنهج المدرسي وهو ما يدروس حتى الآن في المدارس على الرغم من التغيير الطفيف اليوم. ألكسندر بوشكين وليون تولستوي وأنطون تشخوف وغيرهم من الكتاب كانوا منشقين



الرييق والطبيعة الغربية للذهنية الروسية المتأرجحة بين الشرق والغرب وبالتالي فقد لجؤوا إلى استخدام الاستعارة والترميز للهروب من الرقابة وفي تلك المرحلة الأغلبية العظمى من الروس لم تكن تعرف شيئاً عن النضال الفكري لكتابتها لأنهم لا يعرفون القراءة حتى ذلك الوقت وبحسب إحصاء وطني في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أنه على الأقل ٦٠٪ من البافعين الروس كانوا لا يزالون أميين، الحكومة السوفييتية وهدما نحتت بتعليم شعبيها وجعله يقرأ للكتاب الكبار للحقبة الإمبريالية. وبعد أن جاء البلاشفة

# في الذكرى الـ ٢٢٠ لولادة بوشكين هل مازال الروس مولعين بالقراءة؟